📖 **قال المؤلف –رحمه الله–: اعلَمْ –أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه -أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا لـه الدِّين، وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لهـا، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالإِنـسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾ يوحِّدونِ، وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ اللهِ بالعبـادة وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ، والدليل قولـه تعـالى: ﴿وَاعْبُـدُوا اللَّـهَ وَلا تُشْـرِكُوا بِـهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦].**

كرر الشيخ هذا الخطاب بصيغة الأمر– اعلم–، وذلك ليؤخذ الأمر مأخذ الجد والاحتفاء به . ثم دعا لسامعه فقـال: **أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه،** والرشد : ضد الغي وضد السفه، والمقصود به الاستقامة والصواب، والمقصود بالطاعة: الموافقة، موافقة الأمر فيما يحب بامتثاله وفيما يكره باجتنابه.

قال: أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ: إذن عندنا جملة"مكونة من (أنْ) واسمها وخبرها، فقوله: **أنَّ الحنيفيـةَ:** الحنيفية هي اسم أنْ، **ومِلَّةَ إبراهيمَ:** ليست خبرها وإنما هي بدل، فهو عرف الحنيفية بأنها ملة إبراهيم وجاء خـبر أنْ **(أنْ تعبدَ اللهَ)** يعني هذه الجملة المؤولة من أنْ وما دخلت عليه هي خبر أنْ.

فالحنيفية مأخوذة من الحنف وهو: الميل، فالمقصود بالحنيفية :الميل عن طريق الشرك إلى طريق التوحيد والاستقامة ومنه تسمي العرب الأحنف للرجل الذي في مشيه ميل، فمعنى الحنيف: أي المائل عن طريق الضلال إلى طريق الهدى، وقد وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بهذا الوصف في غير ما موضع، فقال تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٣] ، فالحنيفية هي: ملة إبراهيم عليه السلام وبها بعث محمد عليه الصلاة والسلام، فقد بُعث عليه الصلاة والسلام بالحنيفة السمحة.إذن هذا هو معنى التحنف لغةً واصطلاحًا:وهي ملة إبراهيم. والملة المقصود بها : الطريقة والسيرة.

وأما إبراهيم عليه السلام فهو أحد أولى العزم من الرسل، وهو أفضل الأنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، وهو إمام الموحدين في الآخرين، وقد اتخذه الله تعالى خليلًا كما أن الله اتخذ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خليلًا، فقال تعـالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]، والخلة هي أعلى المحبة وما ذاك إلاّ لأن إبراهيم عليه السلام قد محـض العبادة لله رب العالمين فلم يبقَ في قلبه نزعةٌ وميلٌ إلى سوى الله عز وجل، وقد ابتلاه الله عز وجل بمواقـف عظيمـة أثبتت كمال توحيده لله تعالى، ومن ذلك ما جرى بينه وبين قومه حينما واجههم جميعًا وحاجّهم تلك المحاجة العظيمة حتى وصل به الأمر أن حطم آلهتهم وكسرها حتى اجتمعوا عليه وقالوا : {أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَـا يَـا إِبْـرَاهِيمُ} [الأنبياء: ٦٢]؟ ثم إنهم وضعوا له نارًا عظيمة وألقوه فيها وهو لم يحد عن توحيده لله عز وجل، فلما هوى وتحته ألسنة النار عرض له جبريل فقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟، قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى . وكان يقول {حَسْـبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣] فامرؤ هذا حاله في هذه المواقف العصيبة لا شك أنه قد قام في قلبه من توحيد رب العالمين ما لا يبلغه وصف.

---

[1] هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

ومن دلائل توحيده عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى ابتلاه بحبة قلبه وثمرة فؤاده وهو ابنه الذي أتاه على حين كِبَر فأراه الله تعالى في المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء حق فقال عليه الصلاة والسلام { يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } [الصافات: ١٠٢] وما كان يستشيره في ذلك بل كان يتلطف في إخباره فما تدري أتعجب من الأب أم تعجب من الابن؟!، هذا هو حال الموحدين أيها الإخوة حقًا {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢] يقول تعالى : {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣] أي كما يصنع من يريد أن يذبح الشاة بالشاة {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا } [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]، هكذا يكون التوحيد بأن يفزع القلب من كل شبه مخالف خبر الله ورسوله ومن كل شهوة تخالف أمر الله ورسوله، صاحب هذا القلب هو صاحب القلب السليم، فلذلك كان إبراهيم عليه السلام يدعو ربه عز وجل بأن يكون ذا قلب سليم فقال: {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]، والقلب السليم: هو الذي سلم من كل شبهة تخالف خبر الله ورسوله ومن كل شهوة تخالف أمر الله ورسوله . إذن صار إبراهيم عليه السلام مثلًا وعلمًا على التوحيد، ولذلك أمر الله تعالى نبيه وأحاله على ملة إبراهيم عليه السلام، وصار كل من أتى بعد إبراهيم عليه السلام ينتحل إبراهيم وينتمي إليه، ولكن ذلك لا يكون إلا لمن وافقه حقًا وصدقًا، ولذا أنكر ربنا عز وجل على أهل الكتاب فقال تعالى: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ } [البقرة: ١٤٠] ، وقال أيضًا: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: ٦٧] ، وقد رد الله على أهل الكتاب دعوى الإبراهيمية حينما قال الله عز وجل: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤] آل عمران، وقال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [آل عمران: ٦٥].

فإبراهيم عليه السلام هو إمام الموحدين واليهود والنصارى يحاولون الانتماء إلى ملة إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام منهم براء ،بسبب ما أحدثوه وبسبب رغبتهم عن ملته قال تعالى {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ } [البقرة: ١٣٠]

قال قتادة – رحمه الله تعالى – وغيره : "رغبت اليهود عن ملة إبراهيم، ورغبت النصارى عن ملة إبراهيم.فالموافقين لملة إبراهيم عليه السلام هم المسلمون، وأن اليهود والنصارى قد حادوا عن ملة إبراهيم بسبب إفسادهم في دينهم وإدخالهم البدع العقدية على ملتهم".

ما هي الحنيفية ملة إبراهيم كما ذكرها الشيخ؟ هي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وهو أن تفرد الله بالعبادة وحده، ومعنى الإخلاص: التنقية ، مخلصًا له الدين أي : مخلصًا له العبادة، وبذلك أمر لله جميع الناس وخلقهم لها كما

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، فالله تعالى خلق الخلقة لعبادته، والدليل على ذلك هذه الآية الصريحة: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] ، مثل هذا الاستثناء يسمى استثناء مفرغ من أعم الأحوال، مثل قولنا: (لا إله إلا الله) لأنه لا يحصل التوحيد التام إلا بالنفي والإثبات، فالله تعالى قال {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ} هذا نفي، { إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} هذا إثبات، وقد فسره ابن عباس -رضي الله عنهما- يعبدون أي :يوحدون؛ لأنها لا تكون عبادة حقًا إلا بتوحيد .فمن عبد الله وعبد معه غيره فهو مشرك، ومن لم يعبد الله عز وجل فهو ملحد مبطل، ومن عبد الله فهو الموحد حقًا .

ما هي العبادة ؟.

العبادة لها معنى من حيث اللغة ومعنى من حيث الاصطلاح:

- **أما العبادة من حيث اللغة فمعناها**: التذلل والخضوع، تقول العرب: بعير معبد أي مذلل، ويسميه الناس الذلول لكونه مذلل للركوب، وتقول العرب أيضًا:طريق معبد أي: مهيأ للسير عليه، فالعبادة في أصل اللغة تعني التذلل والخضوع للمعبود .
- **وأما في الاصطلاح**: فلها معنى من حيث حقيقتها ومن حيث مفرداتها:

أما حقيقة العبادة أو تعريف العبادة من حيث هي: فهي كمال المحبة مع كمال الخضوع: أي أن يكون العبد في قلبه محبة تامة وخضوع تام، فمن قام في قلبه هذان المعنيان فهو عابد حقًا.

وأما تعريف العبادة من حيث مفرداتها : فأجمع تعريف لها: ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

هذه هي العبادة التي خلقنا الله لها، فالله تعالى ما خلقنا لكي نعمر الأرض بالأكل والشرب والنكاح والتكاثر والنوم واليقظة والموت ثم ينتهي الأمر { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } [المؤمنون: ١١٥]، خلق الله الخليقة لعبادته، فهذه هي حقيقة العبادة التي أمر الله بها جميع أنبيائه، فلا يظن ظان أن هذا هو فقط دين محمد عليه الصلاة والسلام أودين إبراهيم عليه السلام فحسب ،كلا ، كما قال الشيخ: **وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها.** تأملوا قول الله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } [الشورى: ١٣]، هذا هو مضمون رسالات الأنبياء جميعًا، وهي عبادة الله وحده دون ما سواه، ومما يدل على هذه الجمعية قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٢٥] ، انظروا إلى الفرق بين الناس حينما ينظرون إلى التاريخ، أهل الإيمان يقرؤون التاريخ قراءة إيمانية، فيفسرون التاريخ من لدن آدم عليه السلام مرورًا بنوح عليه السلام عبر أنبياء الله كما يصنع ابن كثير وابن جرير حينما يكتبون التاريخ، وأما الماديون والغربيون ومن سار على شاكلتهم فإنهم يقرؤون التاريخ قراءة سطحية فيقولون: التاريخ القديم والتاريخ الوسيط والتاريخ المعاصر ويَصُفُّون الرسالات النبوية مصافَّ الدول والأمم والمماليك

المتعاقبة، وكأنما هي مظهر من مظاهر التاريخ، بينما نحن أهل الإسلام نرى أن التاريخ هو هذه السلسلة من هذه الحلقات المتصلة من أنبياء الله عز وجل فنرى أن صلاح البشرية حينما تقترب من خط النبوة، وأن انحراف البشرية حينما تفترق عن خط النبوة، وقد عرفنا معنى العبادة من حيث هي ومن حيث مفرداتها، و به يتبين أن العبادة تتناول جميع أمور الحياة، وليست العبادة هي ما تحيط به هذه الجدران الأربعة وما يغطيه هذا السقف في المساجد، كلا، الحياة كلها مضمار للعبادة، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ١٦٢] ، فما من صغيرة ولا كبيرة ولا شاذة ولا فاذة إلا وهي تندرج ضمن العبادة، لمن أصلح الله قلبه وأنار بصيرته، فالمؤمن اللبيب هو الذي يحول عاداته إلى عبادة، والغافل هو الذي يقلب عباداته إلى عادات، اجعل عاداتك عبادات بالنية الصالحة، ولا تحول عباداتك التي شرعها الله إلى عادات بحيث تكون جريًا على العادة وتقليدًا وميراثًا، **وهنا أيضا ملحظ آخر وهي أن العبادة تنقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: عبادة كونية: وهي مادلَّ عليها المعنى اللغوي .

القسم الثاني: عبادة شرعية: وهي مادلَّ عليها المعنى الشرعي .

فالعبادة الكونية تشمل جميع المخلوقات لا يخرج عنها أحد قال تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا } [مريم: ٩٣، ٩٤] ، فكل من يدب على وجه الأرض فهو عبد لله شاء أم أبى، لأنه خاضع لنواميس الكون لا يخرج عن قدر الله، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فجميع المخلوقات بهذا الاعتبار داخلة في العبودية العامة.

وأما العبودية الخاصة، فهي عبودية المؤمنين التي تعني الموافقة والطاعة والمتابعة لدين الله عز وجل.

ويمكن أن نضيف قسمًا وأن نقول عبودية خاصة الخاصة :وهي التي يختص بها أنبياء الله، لأنهم أكمل الناس في العبادة، فأكمل المؤمنين عبادة هم أنبياء الله.

هذه هي معاني العبودية العامة التي تشمل كل أحد، والعبودية الخاصة هي العبودية الشرعية التي تختص بأهل الإيمان والطاعة ، وهناك عبودية خاصة الخاصة وهي للكمل من المؤمنين وعلى رأسهم أهل الإيمان .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.